

*Al-muslimāt wa al-yahūdiyyāt fī Maghrib al-ḥimāya min khilāl
majallat “Nisā al-Maghrib” (1945-1948)*

المسلمات واليهوديات في مغرب الحماية
من خلال مجلة نساء المغرب¹ (1945-1948)

تورية السعودي

باحثة، جامعة محمد الخامس، الرباط

يعتبر البعد النسائي في التاريخ المغربي من الجوانب المغمورة في الحقل الإستوغرافي، إذ لم يستقطب بعد اهتمام الباحثين في هذا المجال، على عكس باقي التخصصات الأخرى التي راكمت كثيرا من الأبحاث كما هو حال كتابات فاطمة المريني وعبد الصمد الديالمي وسمية نعمان كسوس على سبيل المثال في مجال السوسيولوجيا أو غيرها من التخصصات كالقانون والآداب. ويمثل هذا الأمر إشكالا معرفيا بالنظر لما يمكن أن يقدمه تاريخ النساء من إضافات نوعية للإستوغرافيا المغربية، بحكم طبيعة الأدوار المختلفة التي لعبتها النساء، طيلة العصور وإن بدرجات متفاوتة، وطموحاتها ونضالاتها الحالية من أجل الوصول إلى مساواة حقيقية مع الرجال في كل المجالات.

ولا تسائل هذه الورقة أسباب هذا الإشكال بقدر ما تحاول تقديم محاولة أولية في هذا الباب، ويتعلق الأمر بالمنبر الإعلامي لأول جمعية نسائية عرفها المغرب خلال فترة الحماية (1944)،² ضمت مختلف مكونات المجتمع المغربي في شقه النسائي خلال تلك الفترة. وسنحاول التعرف على أهم أهداف هذه الجمعية من خلال محتويات هذه النشرة والوسائل التي نهجتها لتحقيقها، مع تتبع درجات مواكبة المجلة للتحويلات الأساسية التي عرفها اتحاد نساء المغرب (Union des Femmes du Maroc) من خلال أنشطة الفاعلات فيه، وتقدم الورقة أيضا نظرة سريعة عن أهم مكونات المجلة، وتقرح في الأخير خلاصات أولية حول هذه الدينامية.

1. في حدود الأعداد 18 التي تمكنت هذه الدراسة من الوصول إليها، وتوجد في حالة رثة في جزء كبير منها.

2. Abdessamad Dialmy, *le Féminisme au Maroc* (Casablanca: Éditions Toubkal, 2008), 27.

وتجدر الإشارة إلى التحولات العميقة التي عرفها المجتمع المغربي في فترة الحماية وسبقها هزات كثيرة جراء الضغوط الاستعمارية منذ منتصف القرن التاسع عشر، وما أحدثته من تحول في الهندسة الاجتماعية التي غيرت ملامح الأدوار الموكولة للنساء، اللاتي اضطرن، لأسباب كثيرة، إلى ولوج سوق الشغل تدريجيا وتحمل مسؤوليات جديدة سواء في الأسرة أو في مختلف مرافق المجتمع، مقابل بقاء القوانين المستلهمة من الشريعة الإسلامية المنظمة لعلاقة المرأة بالرجل على حالها، وعدم مسايرتها مختلف التحولات الطارئة على المجتمع عموما، مع بعض الاستثناءات الخاصة بمناطق العرف أعقاب الضجة التي أثارها ”الظهير البربري“، ومثال ذلك منطقة الحميسات التي عدلت فيها سلطات الحماية قوانين الإرث العرفية فأصبح للمرأة بموجبها الحق في الإرث مع استثناء شقيقة الهالك ابتداء من سنة 1946.³

وفي الوقت الذي استفادت فيه الجماعات اليهودية المغربية تدريجيا من مجهود الرابطة اليهودية العالمية في مجال التعليم منذ سنة 1862، فمكنتها ذلك من تحقيق نتائج هامة على أرض الواقع، على الرغم من معارضة بعض الحاخامات في البداية،⁴ وجعلت منه دعامة أساسية ساهمت في إحداث جملة من التغيرات في أوضاع الأسرة اليهودية وتمهيد السبل أمامها لتصبح منسجمة مع متطلبات العصر،⁵ فإن تعليم المرأة لم يحظ باهتمام مماثل إلا مع نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات من القرن العشرين، ولم تستفد منه سوى فئة قليلة حتى نهاية نظام الحماية سنة 1956.⁶ وبالتالي فإن المرأة المغربية المسلمة لم يكتب لها أن تتسلح كما ينبغي أمام الوضع الجديد الذي أحدثته القوة الفرنسية منذ أن أخضعت المغرب لمعاهدة الحماية في (30 مارس 1912)، والذي رسم ملامح تراتبية جديدة من خلال وضع الفرنسيين

3. Cne. Jean Deluc, *Considérations sur les tribunaux coutumiers dans la confédération des tribus Zemmour*, “Document C.H.E.A.M. n° 2.335,” 1950, 35.

4. Roger Gaudefroy-Demombynes, *L'oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc* (Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1928), 198.

5. Doris Donath, *L'Evolution de la femme israélite à Fès* (Aix-en-Provence: Publications des Annales de la Faculté des lettres, Aix-en-Provence, la pensée Universitaire, Travaux et Mémoires, 1962), 82.

6. Abderrazak Moulay Rchid, *La condition de la femme au Maroc* (Rabat: Éditions de la faculté des sciences juridiques économiques et sociales, série de langue Française n°33, 1985), 85; Daniel Rivet, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V, le double visage du protectorat* (Paris: Denoël, 1999), 268.

وكبار المعمرين بشكل خاص في أعلى الهرم الاجتماعي وغالبية المسلمين واليهود في مراتبه الدنيا.⁷

وفي هذا السياق، بقيت المرأة المسلمة تواجه مصيرها طيلة تعاقب الراجات الاقتصادية العنيفة التي هزت فئات عريضة من المجتمع المغربي جراء الاستغلال الاستعماري، كنتائج لعمليات الغزو العسكري وانتزاع الأراضي الفلاحية وارتفاع وتيرة ربط الاقتصاد المغربي بالسوق العالمية الذي تسبب في ركود كثير من الحرف التقليدية، ناهيك عن إفقار العاملين بهذه القطاعات.⁸

وهذا في حين استفادت المرأة المغربية اليهودية من أنشطة كثيرة قامت بها الجمعيات الخيرية التي ساهمت الحركة الصهيونية في استقدامها أو تأسيس أنوية محلية لها داخل المغرب وجمعت الاكتتابات لفائدتها بغية تحسين أوضاع النساء والأطفال والفئات الفقيرة عموماً، إذ توفرت لديها ميزانيات هامة، مكنتها بالتالي من قطع أشواط بعيدة على مستوى التخفيف من أضرار الاستغلال الاستعماري الذي عانت منه الفئات المغربية العريضة.⁹

وعلى الرغم من تباين التغيرات واختلافها بين أوضاع المسلمات واليهوديات المغربيات، فإن طبيعة العلاقات بين هذين المكونين لم تخرج عن الطبيعة الإنسانية المتسمة بالمد والجزر، بل أصبحت المرأة اليهودية تضطلع بأدوار جديدة تجاه مثلتها المسلمة، نظراً للآفاق الجديدة المفتوحة أمامها، مما جعلها تصبح حاملة لمستجدات العالم الخارجي من أفكار وموضة وطرق عيش جديدة بغية نقلها إلى جارتها المسلمة التي غالباً ما فرض عليها البقاء في البيت وخاصة بالحواضر.¹⁰

في هذه الظروف، استأنفت مجلة نساء المغرب صدورها سنة 1945، وكانت أوضاع المرأة المسلمة واليهودية على حد سواء تسير بسرعتين متفاوتتين، والبلاد

7. Kenbib, Mohammed, *Juifs et musulmans au Maroc, 1859-1948, Contribution à l'histoire des relations inter-communautaires en terre d'Islam*, (Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, série: Thèses et Mémoires n° 21, 1994), 407.

8. Ibid., 427.

9. سعاد بنعلي، "المرأة اليهودية في مغرب الحياة"، بحث لنيل استكمال الدروس، إشراف محمد كنيب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، السنة الجامعية 1997، 41-42؛ انظر أيضاً:

"Chronique Régionale," *l'Avenir Illustré*, 45 (1930): 9; "Assemblée générale de l'union des dames israélites," *l'Avenir Illustré*, 140, (1931): 6-8; "Service d'Assistance Sociale," *Noar* 3 (1946): 15; "L'OSE au Maroc: Conférences de Mme le docteur Krammer et M. Brenner," *Noar* 8/9 (1947): 14-16.

10. Louis, Villène, *L'Evolution Sociale du Maroc* (Paris: Cahiers de l'Afrique et de l'Asie I, Éditions Peyronnet, 1951), 61.

تعرف أوضاعا اقتصادية واجتماعية متأزمة، خاصة وأن الإقامة العامة جعلت السلطان يوقع قبيل الحرب العالمية الثانية على ظهير منظم للأمة في حال اندلاع المواجهة، منح بموجبه للمقيم العام السلطة العليا على كل الإدارات في أكتوبر 1938. كما اعتبر الظهير الاقتصاد المغربي اقتصاد حرب، فترتب عن هذا القرار تعليق المكتسبات الاجتماعية التي أفرزتها إضرابات 1936.¹¹

في حين تسبب جفاف 1945 في نزوح أعداد كبيرة من ساكنة البوادي إلى ضواحي المدن، وارتفع عدد الوفيات بسبب المجاعات ما بين غشت 1945 و مارس 1946 إلى أرقام قياسية، فكان أغلب ضحاياه من النسوة والأطفال، خاصة في جهة سوس،¹² مما دفع جحافل النساء والأطفال والرجال للنزوح نحو المدن الصناعية، فتشكلت معها فئة اجتماعية تعاني من الفقر والبؤس وتعيش أوضاعا مزرية.¹³ وكان الآلاف من هؤلاء بما فيهم ثلاثة آلاف قاصر، يشتغلون بطريقة غير منتظمة، ولا يؤجرون كغيرهم من الأوروبيين،¹⁴ حيث بلغت نسبة النساء العاملات في المناجم ومعامل التصبير حوالي 6000 عاملة سنة 1950، 65 بالمائة منهم ما بين 16 و 25 سنة وطفلات تراوحت أعمارهن بين 8 و 10 سنوات.¹⁵

ولعبت هذه العوامل دورا حاسما في تحول خريطة المغرب الحضرية، فانتقلت ساكنة الحواضر المغربية من 886.676 نسمة سنة 1936 إلى 1.535.463 سنة 1952، بنسبة تزايد بلغت 72 بالمائة خلال 16 سنة فقط،¹⁶ إلا أن هذه الساكنة كانت تعرف مفارقات كبيرة على المستوى السوسيو اقتصادي، فاحتد التباين بين الساكنة الأوروبية من جهة ومثيلتها المغربية من "الأهالي" من جهة أخرى.¹⁷

11. René Gallissot, *Le patronat européen au Maroc (1931-1942)* (Casablanca: Éditions Eddif, 1990), 162.

12. Rivet, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V*, 237.

13. Abdellatif Menouni, *Le syndicalisme ouvrier au Maroc* (Casablanca: Les Éditions Maghrébines, 1979), 29.

14. William A, Hoisington, *L'héritage de Lyautey: Noguès et la politique française au Maroc: 1936-1943*, traduit par, S. K, Levin et Marc Méraud (Paris: l'Harmattan, 1995), 153.

15. Rivet, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V*, 305.

16. R. Forichon, P. Mas, "Les problèmes de la répartition du peuplement au Maroc," *Bulletin Economique et Social* XXI 76 (1958): 476.

17. Gallissot, *ibid.*, 31.

وفي ظل هذه الأوضاع الاجتماعية المتردية خاصة فيما يتعلق بأحوال السكان المحليين، تأسست مجلة نساء المغرب الناطقة باسم التنظيم النسائي الأول من نوعه في المغرب اتحاد نساء المغرب، على يد نساء فرنسيات ومغربيات يهوديات تعد الفرنسية لوسيت مازيلا (Lucette Mazella)، واليهودية فورتوني سلطان (Fortuné Sultan) من أبرز الفاعلات فيه.¹⁸

وشكل هذا التنظيم أرضية مشتركة جمعت بين المكونات النسائية الثلاث للمجتمع المغربي خلال الفترة موضوع المقال، -فئة المغربيات المسلمة واليهودية والمرأة الأوروبية المسيحية أو اللاتينية- في إطار فكري يتطابق مع قناعات الحزب الشيوعي المغربي الذي تنتمي إليه تلك الثلثة من النساء المؤسسات، والرامية أساسا إلى تحقيق وحدة الشعوب الخاضعة للحكم الفرنسي اختياريا، وتحسين أوضاع الفئات العاملة والفقيرة.¹⁹

وعلى الرغم من تحفظ بعض علماء المسلمين على إمكانات التفاعل والتبادل بين الفئات الدينية الثلاث، فإن البعض منهم لم يتردد في المبادرة إلى إصدار فتاوى بمنعها، غير أن علاقات التأثير والتأثر استمرت بين مكونات المجتمع النسائي المغربي، بعد أن أملت ظروف الجوار الذي عرفته هذه الفئات سواء منها اليهودية والمسلمة منذ مئات السنين، أو المسيحية الفرنسية التي فرضتها ظروف الحماية،²⁰ علما أن التلميذات اليهوديات اللواتي كن يقصدن المدرسة حديثا مرتديات أزياء وحللا أوروبية ومختلطات بالذكور، كن يمثلن نموذج المرأة المسلمة السيئ وفزاعة مرعبة للتيار المتخوف من رياح التغيير.²¹

مثل هذا التنظيم الجناح النسائي للحزب الشيوعي المغربي، وبناء عليه، فقد عمل على تطبيق أفكاره ومبادئه المؤمنة بوحدة مصير العمال وأهمية تكتلهم النقابي في صفوف واحدة للدفاع على حقوقهم، كما ساهمت عضواته في نشر مبادئه

18. Abdessamad Dialmy, *le féminisme au Maroc* (Casablanca: Éditions Toubkal, 2008), 27.

19. "Résolutions du congrès des 12 et 13 avril," *Femmes du Maroc*, 14 (1947): 12.

20. محمد بن محمد بن عبد الله، ابن المؤقت، الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1351هـ/1932م)، ج. 2، 26.

21. محمد الضرباني، "ادفعوا عن الفتاة أضرار الشارع"، جريدة الوداد، دجنبر (1941): 3-6.

ومن أهمها حق الشعوب في تقرير مصيرها، مع مراعاة مصلحة المغرب في ضرورة استمرار ارتباطه بفرنسا.²²

وضع اتحاد نساء المغرب نصب عينيه أيضا هدف التعبئة للحد من نفوذ الشركات والأبنك الكبرى بالمغرب، خاصة وأن البلاد تزخر بمؤهلات طبيعية وبشرية هائلة، فحاول الدفع بالسلطات الفرنسية إلى نهج سياسة اجتماعية واقتصادية ديمقراطية أساسها إقرار المساواة بين الجميع.²³

وفي السياق نفسه، تطلعت الجمعية إلى محاربة الفاشية بكل تجلياتها، وضمان الحريات الفردية، والحق في الانخراط النقابي. وبالنظر إلى الأوضاع الاقتصادية السائدة في البلاد كان شعار "مؤونة متساوية" أحد الأهداف الأكثر أهمية التي عملت عضوات هذه الجمعية جاهدة في سبيل تحقيقها على أرضية الواقع.²⁴

وشكل الحق في التعليم واحدا من أهم المطالب التي رفعتها مناضلات الجمعية، حيث اعتبرت مسألة التعليم حيوية جدا وخاصة للنساء، ولذلك لم تتردد في توجيه النقد اللاذع على صفحات المنبر الصحفي لسياسات الإقامة الفرنسية في هذا الباب، ولم يفتن التنويه بمبادرات الأميرة لالة عائشة في هذا الصدد.²⁵ كما حثت المساهمات في هذه المجلة النساء أيضا على ضرورة بذل الغالي والنفيس في سبيل الحصول على تعليم عالي المستوى.²⁶

ولتحقيق هذه الأهداف عملت نساء هذا التنظيم على رفع كثير من التحديات أهمها خلق مناخ ملائم يمكن أن تتضافر فيه الجهود حتى يستقطب مختلف الطاقات النسائية الفاعلة على التراب المغربي، ولعل التحدي الأكبر في هذا السياق هو كيفية التوفيق بين الاختلافات الموجودة في الديانات الثلاث.

وتحليل محتويات هذه الصحيفة على سلسلة من الأنشطة التي قامت بها نساء الجمعية، حيث عملن في هذا الاتجاه على الاحتفاء بمختلف الأعياد المرتبطة

22. Fulber Taillard, *le nationalisme marocain* (Paris: Éditions du Cerf, 1947), 127.

23. Ibid., 128-129.

24. Taillard, *le nationalisme marocain* 130-131; M. Guibaut, "L'union des femmes du Maroc dénonce la mauvaise organisation de ravitaillement," *Femmes du Maroc* 1 (1945): 11.

25. "Des écoles pour tous," *Femmes du Maroc* 13 (1947): 8.

26. "Les Femmes au Travail," *Femmes du Maroc* 5 (1946): 8-9

بالديانات السماوية الثلاث، بل جعلت منها مناسبة لمساعدة والقيام بالأعمال الخيرية، وتعد إحدى الرسائل التي بعثها أحد مسئولى المدرسة اليهودية بالدار البيضاء معبرة في هذا الصدد:

”سيدتي الرئيسة: يشرفني أن أبعث لك ضمن هذا الغلاف لائحة تخص 25 تلميذا من المحتاجين تم المطالبة بأسمائهم للمشاركة في حفل ليلة رأس السنة. وباسم هؤلاء المستفيدين وباسمي الشخصي أشكرك على هذه الالتفاتة الكريمة، إن اتحاد نساء المغرب هو أول جمعية تعمل على دعوة أطفال الأهالي للاحتفال بليلة رأس السنة....“²⁷

وتكرر مثل ذلك مع حلول مناسبة الاحتفال بعيد البوريم اليهودي بمراكش الذي نظمه فرع الجمعية،²⁸ وكان عادة ما يقع الاحتفاء به حينما تتحقق معجزة كبيرة تساهم في نجاتهم من مخاطر كبيرة، كما هو حال ذكرى انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن سنة 1578م، والتي تذكر بلحظة نجاتهم من اعتناق المسيحية بعد عزم ملك البرتغال وقتئذ على فرضها في حق المغاربة، أو عند إحياء الاحتفال بذكرى النزول الأمريكي على شواطئ الدار البيضاء سنة 1942م، والذي كان بمثابة طوق نجاة من تحريض اليمين الفرنسي للمسلمين ضد اليهود.²⁹

هذا فضلا عن احتفال عضوات الجمعية قاطبة بأفراح العيد الكبير في الدار البيضاء الذي نظمه فرع الضيعة البيضاء بالعاصمة الاقتصادية.³⁰ وفي السياق نفسه دأبت الجمعية المذكورة على تنظيم المخيمات الصيفية بغية تكريس البعد الوحدوي بين الديانات الثلاث، كما يشير إلى ذلك عنوان إحدى المقالات الصادرة بالمجلة:

”مخيمات اتحاد نساء المغرب في البحر أو في الجبل للذكور كما للإناث، مسلمين وإسرائيليين وأوروبيين يتعلمون كيف يحب بعضهم البعض.“³¹

27. “Dans les sections,” *Femmes du Maroc* 3 (1946): 2.

28. “Les femmes au travail: La fête de Pourim et l’U.F.M.,” *Femmes du Maroc* 6 (1946): 7.

29. Mohammed Kenbib, “Les Juifs du Maroc pendant la deuxième guerre mondiale. La phase 1939-1942,” *Hespéris-Tamuda* XXXVII (1999): 202.

30. “On fête joyeusement l’Aid-Kebir,” *Femmes du Maroc* 10 (1946): 4.

31. *Femmes du Maroc* 8 (1946): 2.

وبعد افتخار اليهودية فريجة عياش (Fréa Ayache) العضوة الفاعلة داخل هذا التنظيم، بنجاحها في الإشراف على مخيم صيفي يجمع الإناث من الفئات الثلاث والتوافق المؤنس الذي عاشته الفتيات والنسوة خلال المرحلة التخيمية، عبرت عن تأثرها الخاص بمحتوى رسالة بعثها أحد الأطفال المسلمين المستفيدين إلى والدته دالاً في هذا الصدد، بقولها:

”لن أنسى أيضاً تلك الرسالة التي بعثها لحسن (أحد الأطفال المستفيدين من المرحلة التخيمية) إلى والدته، والمكتوبة بقلم الرصاص، والتي ستتوصل بها أمه القلقة عليه وستجعل أحداً يتلوها على مسامعها بإحدى المساكن الفقيرة بالضبعة البيضاء، حيث استأنفها بقوله: أمي لو تعلمين عن المرأة الرشيدة التي كانت مديرتنا...“³²

وتمثل التحدي الثاني في محاولة العمل على تحسين أوضاع النساء عبر الاهتمام بإعداد دور للحضانة لأطفال العاملات وخادمات المنازل، كما عمل على الاعتناء بالأطفال والأمهات في أوضاع صعبة، وطالب بضرورة إعداد ملاجئ للأطفال المشردين ومستشفيات وغيرها من المرافق الاجتماعية.³³

ونشطت أيضاً عضوات هذا التنظيم في الجهود الرامية إلى تعبئة النساء على المستوى النقابي، وكان شعارهن ”عمل متساو أجر متساو“ بغية تقليص الفروقات في الأجور سواء بين الأوروبيين و”الأهالي“، أو بين النسوة والرجال، خاصة وأن كثيراً من نساء هذا التنظيم كن فاعلات نقابيات مثل فريجة عياش ورايحة بنت ميمون وبنت بلعيد السوسي وفورتوني سلطان وغيرهن.³⁴

وتظهر نتائج هذه التعبئة بمعالم واضحة حتى قبل بداية صدور الجريدة، بدليل الإقبال الذي لقيته دعوة عناصر هذا التنظيم للتظاهر أمام المصالح البلدية احتجاجاً على ما أسمته بـ”تقصير السلطات المسؤولة“، إذ خرجت في 10 نونبر

32. Fréa Ayache, “Aïn Kerzouza... Juillet 1946,” *Femmes du Maroc* 9 (1946): 4.

33. “Congrès de l’Union des Femmes du Maroc,” *Femmes du Maroc* 1 (1945): 12; Geneviève Poujade, “Pour l’amélioration des conditions de vie de la travailleuse,” *Femmes du Maroc* 1 (1945): 19; “Les Femmes au Travail,” *Femmes du Maroc* 4 (1946): 8.

34. Albert Ayache avec la collaboration de René Gallissot, et Georges Oved, *Maroc: Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb* (Casablanca: Éditions Eddif, 1998), 122-123; Geneviève Poujade, “Pour l’amélioration des conditions de vie de la travailleuse,” *Femmes du Maroc* 1 (1945): 19; “Les Femmes au Travail,” *Femmes du Maroc* 4 (1946): 8.

1944، حوالي 15000 امرأة حسب مصادر اتحاد نساء المغرب، و8000 متظاهرة حسب السلطات في مظاهرة ضخمة إلى درجة أن الإقامة العامة اضطرت إلى تحريك القوة العسكرية حفاظا على الأمن³⁵.

وعرف مسار اتحاد نساء المغرب محطتين أساسيتين، تجلت المرحلة الأولى في تركيز مناضلاته على الأعمال الخيرية والاجتماعية بالاعتماد على فروع الاتحاد المتواجدة في كل من الدار البيضاء والرباط ومكناس وبور ليوطي وقصبة تادلة وفضالة ومراكش وجردة ووجدة وغيرها، وبالبلغة حوالي 48 فرعا في المجموع³⁶.

وتجسدت هذه المبادرات في عمليات توزيع الملابس الأغذية، كما قمن في سنة 1945 المعروفة بـ "عام الجوع" بتأسيس لجان لمكافحة البؤس بشراكة مع الإسعاف الشعبي المغربي، فأشرفت هذه اللجان على توزيع المأكولات في أغلب مراكز فروع اتحاد نساء المغرب، خاصة في الدار البيضاء حيث توجد كثير من فروعها، كما هو الشأن مع فروع المعاريف وبورگون والضيعة البيضاء وعين السبع والصخور السوداء والوازييس وأخيرا فرع المدينة الجديدة³⁷. كما نظمت عضوات الاتحاد حملات تحسيسية شملت المجال الطبي، أملا في التحسيس بالأمراض المعدية في صفوف الأطفال مثل مرض الحصبة أو الأوبئة المرتبطة بالجفاف وغيرها³⁸.

أما المنعطف الثاني الذي عرفه هذا التنظيم فيتجلى في وعيه بأن أعماله الخيرية قد تولدت عنه صورة "باتريكية"، أو رسمت في حقه انطبعا يحيل عليه وكأنه مجرد جمعية خيرية، وذلك ما وقع التعبير عنه في نص الافتتاحية التي كتبتها لوسيت مازيلا في دجنبر 1946 على أعمدة العدد العاشر والمعنونة بـ "كفى من الأبوية"، "Assez de paternalisme"، فأكدت فيها على نضالية التنظيم وشدت على امتلاكه قاعدة نسائية عريضة مستعدة للاحتجاج على الظلم. وأضافت بأنه حتى وإن كان لديهن قلب عطوف، فلديهن أيضا عقول تستطعن استخدامها لتزويد المسؤولين بمقترحات حلول للمشاكل الكثيرة المطروحة، وخاصة ما يتصل منها بشعار "عمل متساو أجر متساو"، في علاقة مع ما تتقاضاه النساء من أجور متدنية مقارنة بالرجال.

35. Taillard, *le nationalisme marocain*, 132.

36. "Les Femmes au Travail," *Femmes du Maroc* 4 (1946): 8.

37. *Femmes du Maroc*, 13 (1947).

38. *Femmes du Maroc*, 10 (1946): 4-7;

وعملت عضوات هذا التنظيم أيضا على إشراك المغربيات المسلمات تدريجيا في تحمل المسؤولية جنبا إلى جنب مع المغربيات اليهوديات والفرنسيات من منخرطات الاتحاد، فبعد أن كن ممثلات سابقا بعضوة واحدة فقط كمسؤولة وطنية خلال المؤتمر الثاني المنعقد في 7 أكتوبر 1945³⁹ نجد أن الأمر قد تغير سنة 1947 في تشكيلة اللجنة الوطنية لاتحاد نساء المغرب، إذ وصلت فيها ثلثة من المغربيات المسلمات إلى مواقع القيادة كما تبين ذلك نتائجه:⁴⁰

” - الرئيسة: فورتوني سلطان

- نائبات الرئيسة: زينب بنونة وإيفون بوبير (Yvonne Beaupère)

- الكاتبات العامات: خدوج بنت الحسين، لوسيت مازيلا

- الكاتبات المنظمات: عائشة بنت مسعود، جوليت سيتبون (Juliette Sitbon).

- المكلفة بالمالية: جيرميز أبط (Germaine Abt).

- كاتبات التموين: ماري كلير غيبو (Marie-Claire Guibault) وزوهر بنت الجيلالي.

- كاتبات الشؤون الاجتماعية: مارسيل سيبال (Marcelle Sippel)، زروالة بنت الحسين، لويست ليثي لبحار (Lévy Lebhar)، ميلودة بنت محمد، روزين بيناني (Rosine Benané).

- كاتبات الدعاية: رابحة بنت ميمون، فريجة عياش، دودة بنت محمد، فطومة بنت عابد.

- كاتبات النشر: مارسيل ديلماس (Marcelle Delmas)، بيريت غارسيا (Pierrette Garcia)، إيقلين السرفاتي (Evelyne Serfaty).“

39. *Femmes du Maroc* 1 (1945): 11.

40. *Femmes du Maroc* 14 (1947): 6.



وعن اهتمامات النساء كما تظهر من محتويات المجلة، يبدو أن المجال الاجتماعي احتل الصدارة لديهن بنسبة 19 في المائة، والراجح أن هذا الأمر ارتبط أساسا بالأوضاع الاجتماعية المزرية التي عانت منها كثير من فئات المجتمع المغربي، فجاءت تلك المبادرات في وقت حاسم استجابة لأوضاع فئات عريضة من المغاربة غالبا ما امتهنت التسول أو صارت عرضة للتشرد، وهو ما تحيل عليه إحدى المقالات:

”باتفاق مشترك قررنا البحث على المساكين والعراة والمشردين ممن أصبحت الحياة عندهم جحيما مستمرا. وقد تمكنا من جمع المئات منهم أمام المقر، أياد ممدودة، وعيون متوسلة ومرعوبة أيضا لن نستطيع نسيانها. أطفال دون عمر رؤوسهم مليئة بالقمل والأوساخ وأجسادهم موبوءة. كانوا يلوذون بالفرار عند رؤيتنا وهم خائفون، إذ كانوا دوما عرضة للاعتقال، ونادرا ما يقع الاهتمام بمصيرهم...“⁴¹

ونالت الجهود المبذولة للتنديد بالأجور الزهيدة المخصصة للنساء مقابل الأعمال الموكولة لهن، نصيبها في أنشطة الاتحاد، كما هو حال النسوة العاملات في الحقول، وهو ما وردت الإشارة إليه في هذا المقطع:

41. B E., “Femmes et fillettes de la Nouvelle Médina sont des amies de l’U.F.M.,” *Femmes du Maroc* 4 (1946): 4.

”الحرارة مرتفعة جدا، والنساء بالكاد يكلمن بعضهن من فرط التعب، إنها وقت الظهيرة والحرارة في مداها بحركات متعبة وشفاه جافة وأيدي دامية، وظهر ملتو يجدن صعوبة في الاستواء، تتأخر الشمس في المغيب ... لكن هل تعرفون كم هي أجرة العاملات بالحقول إنها قليلة جدا، وهذا على الرغم من أن فضلهن كبير في نمو الزرع....“⁴²

كما حاولن إدراج بورتريهات تصور بعض النساء في أوضاع صعبة أثناء العمل للتحسيس بقضاياهن ومعاناتهن كما هو حال عائشة التي تعمل في الحقل طيلة اليوم والسنة، وتعيش أوضاعا صعبة نتيجة لتعنيفها المتواصل من قبل زوجها. وغالبا ما تنتهي مثل هذه المقالات بتقديم مطالب للالتفات إلى هذه الفئة من النسوة والدعوة إلى الاهتمام بتعليمها وتحسين أوضاعها.⁴³ واهتمت الجمعية، في السياق الاجتماعي ذاته، بتشجيع الأمهات ومساعدتهن على إدراج أسماء أبنائهن في سجلات الحالة المدنية، وهذا من بين أمور أخرى أغفلتها أغلب العائلات المغربية وخاصة في صفوف المسلمين.⁴⁴

وعلى المستوى السياسي، الذي احتل حوالي 15 بالمائة من حيز المجلة، فقد ناهضت عضوات اتحاد نساء المغرب كل أشكال الفاشية، كما طالبن بقطع العلاقات مع فرانكو وطردهن اللاجئين المتحالفين مع الفاشيين من المغرب. وطالبن النساء الفرنسيات بالمشاركة في التصويت، كما شجعن المغربيات على الانخراط في الحقل السياسي.

وكانت لاتحاد نساء المغرب مطالب موحدة مع مطالب باقي المستعمرات، وهو ما أشارت إليه إحدى المندوبات عند تمثيلها للتنظيم في الفدرالية الديمقراطية العالمية للنساء، حين نددت بما يلي:

42. Pierrette Garcia, “Les deserbeuses préparent de belles récoltes sous l’œil rapace des ‘agriculteurs aux mains blanches’,” *Femmes du Maroc* 14 (1947): 8.

43. Pierrette Garcia, “Un Aspect de la vie d’une marocaine dans le bled,” *Femmes du Maroc* 12 (1947): 16.

44. “Mamans marocaines, inscrivez vos enfants sur les registres de l’Etat-Civil,” *Femmes du Maroc* 16 (1948): 4.

”- غياب الحقوق السياسية والاجتماعية أو محدوديتها؛ وغياب الحريات الأساسية للأشخاص مثل حرية التعبير والصحافة والتجمع وغيرها؛ وجود المجتمعات المستعمرة دائما تحت رحمة قانون الطوارئ؛ -ومعناه استحالة تنمية الثقافة المحلية واستحالة التعليم أو الحصول على شهادة مهنية عالية وحتى متوسطة-؛ هذا فضلا عن التمييز على أساس عرقي.“

وفي اللقاء نفسه استعرضت إحصائيات في محاولة لرسم صورة مشخصة لأوضاع ”الأهالي“ المتردية في المستعمرات سواء المغربية منها أو الجزائرية أو التونسية، ووقع التشديد بشكل خاص على أوضاع المرأة.⁴⁵ وأكدت الجمعية أيضا في نشرتها قوة ارتباطها بنضالات الحزب الشيوعي وأرضيته النضالية بالتركيز على أربعة محاور أساسية وهي: مناهضة الاستعمار؛ من أجل مغرب ديمقراطي؛ من أجل حماية كل الأسر؛ من أجل انخراط المغرب الاختياري والتلقائي في الاتحاد الفرنسي تحقيقا لأهدافه المشروعة.⁴⁶

وترتب عن انخراط النساء المتواصل في أنشطة التنظيم السياسية وقوع بعض أعضائه النشطة في فروع الاتحاد ضحية للاعتقال على يد السلطات الحاكمة سنة 1948، كما هو الحال مع فاطمة محمد وفاطمة إبراهيم بدوار آيت كرازة بني ملال، مما جعل فورتوني سلطان، وهي رئيسة التنظيم آنئذ، توجه رسالة إلى الإقامة العامة بالرباط للمطالبة بالإفراج عنهن، فانهى الأمر بتسريحهن بكفالة قدرها 1000 فرنك عن كل من المجتجزتين.⁴⁷

وفي المجال النقابي الذي احتل حوالي 8 بالمائة من مساحة النشرة، انتقدت نساء التنظيم ما وصفته باقتصاد النظام الرأسمالي الاستغلالي، وحملته المسؤولية كاملة عن مشاكل البطالة وعدم المساواة في الأجور، وطالبن في إطار التعبئة بتوحيد الصفوف داخل التنظيمات النقابية ضمنا لحقوق العمال والعاملات.

45. Alice Sportisse, “La situation des femmes dans les pays coloniaux et semi coloniaux,” *Femmes du Maroc* 13 (1947): 12.

46. “Résolutions du congrès des 12 et 13 avril,” *Femmes du Maroc* 14 (1947): 12.

47. “Nos sections et régions,” *Femmes du Maroc* 16 (1948): 8.

وحاولت المجلة في السياق نفس إثارة انتباه العاملات إلى أهمية الإلمام والاطلاع على حقوقهن، من خلال إدراج كثير من الأمثلة عن الواقع المعاش.⁴⁸ وفي هذا الصدد، وجهت المجلة نداءات كثيرة إلى عاملات المنازل للانتظام في صفوفهن، والانخراط النقابي، مع إبداء تفهم كبير لأوضاعهن الصعبة، وذلك من خلال استعراض نماذج لبعض من معاناتهن، واقتراح الحلول لها.⁴⁹

وسجل البعد الثقافي أيضا بعض النشاط والدينامية، فاحتل حوالي 16 في المائة من مساحة المجلة، فجاء معبرا عن اهتمام النساء بقضايا ذات أهمية، من قبيل الانفتاح على تجارب النساء في العالم، وذلك بالاعتماد على تقديم بورترية حولهن. وشاركت عضواته القراء في متعة الآداب بإدراج مقتطفات من القصص العالمية على حلقات في الصفحة الأخيرة، كما نالت الفنون والشعر نصيبا لا يستهان به من هذا الاهتمام، وحضرت أيضا قضايا التاريخ على صفحات النشرة. وفي السياق نفسه، تم أيضا تخصيص حيز لتعليم اللغة الدارجة العربية مكتوبة باللغة الفرنسية تحت عنوان: "صديقاتنا الأوروبيات تعلمن لغتنا الجميلة."⁵⁰

أما باقي الأبواب التي حظيت باهتمام المجلة، فهي الموضة والطبخ بنسبة 16 بالمائة، والصفحة الصحية بحوالي 7 في المائة، ثم صفحة الأطفال التي احتلت 13 بالمائة، وفي الأخير مواضيع الشباب التي اكتفي فيها بنسبة 2 في المائة فقط من مساحات النشرة.

لقد كان هذا التنظيم بالنسبة للمرأة اليهودية بمثابة أفق وطريق ثالث، خاصة "للمتطورات" منهن، اللواتي قاومن الإغراء الذي مثلته الأرض الموعودة كما روجت لها الحركة الصهيونية، ووجدن في اتحاد نساء المغرب فرصة للعيش على قدم المساواة مع الفرنسيات اللواتي لم يتمكن من الحصول على وضعية مماثلة لهن، أو المسلمات اللواتي كن إلى حد قريب في مرتبة ثانية بعدهن.

48. Geneviève Pujade, "Travailleuses connaissez-vous vos droits," *Femmes du Maroc* 14 (1947): 15.

49. Pierrette Garcia, "Viens ... Zohra, dans la grande ronde des femmes," *Femmes du Maroc* 15 (1948): 15.

50. Leila "Amies Européennes, apprenez notre belle langue," *Femmes du Maroc* 12 (1947): 14; *Femmes du Maroc* 14 (1947): 12.

أما عن المرأة المسلمة وخاصة المتتميات منها إلى فئات العاملات وخادمت البيوت وقاطنات المساكن الصفيحية المستهدفة بأنشطة مؤسسات اتحاد نساء المغرب، فقد شكل التنظيم طوق نجاة خفف عنها ضغط الأزمة الاقتصادية الخانقة التي شهدتها المغرب خلال فترة صدور المجلة بفضل مجهودات عضواته، وفتح أمامها آفاقا أخرى للتواصل مع الأوروبي غير الاستعماري والاستغلالي من جهة، ومنحها من جهة أخرى، تصورا جديدا عن الذمي الذي يمكن أن يكون في الطرف المقابل، أي حين تصبح الذمة معكوسة.

وحقق اتحاد نساء المغرب بعضا من أهدافه الرامية إلى تنظيم الطبقات العاملة النسائية المغربية، مثل الخادمت في المنازل اللواتي غالبا ما شكلن فئات عريضة، والعاملات في مرافق شتى، وربات البيوت، كما أفلح في تحقيق الانتشار عبر ربوع التراب المغربي وتحديدًا في المعامل ومناطق النشاط المنجمي والاستغلاليات الفلاحية الكبيرة.

ومع ذلك، لم تتمكن جمعية اتحاد نساء المغرب من تحقيق الانتشار والتجذر في أوساط المجتمع المغربي وفقا لما كانت تطمح إليه، وربما تكمن علة ذلك في اقتصر جهود عضواتها على حصر التركيز بصفة أساسية في أوساط عائلات بعينها، إذ كانت كثير من عضوات اتحاد نساء المغرب، إما من زيجات أو أخوات أو أمهات مناضلي الحزب الشيوعي الذي مثلت الجمعية المذكورة ذراعه النسائي، (فريجة عياش زوجة جرمان عياش، إيفلين السرفاتي أخت أبراهام السرفاتي، عائشة بنت مسعود أم كواكجي...)

مثل هذا التنظيم إحدى الحلقات المضيئة في تاريخ المجتمع المغربي المنفتح على التنوع الديني والإثني والعرفي وحتى الطبقي، وأعطى نموذجا للقيم الإنسانية النبيلة كما عبر عنه تفاني عضواته في خدمة فئات عاشت واقعا مأساويا، كما جسد لبنة تأسيسية أولى لحركة نسائية مغربية عبرت عنها أنشطته ومبادراته كتجربة خصبة وأرضية غنية لبقية التنظيمات التي ظهرت في الساحة المغربية في المراحل اللاحقة من تاريخ البلاد.

وقد أفضت عوامل كثيرة ومختلفة إلى تجميد نساء هذه الجمعية لأنشطتهن المعهودة، ومنها المتابعات السياسية في حق عضواته، والتضييق على الحريات النقابية من قبل الإقامة العامة، والغليان السياسي الذي بدأ يعرفه المغرب ابتداء من نهاية

الأربعينات ومطلع الخمسينات من القرن العشرين، وخاصة احتدام الصراع وارتفاع درجات التوتر بين أطراف الحركة الوطنية خلال المرحلة المذكورة، والتي كان الحزب الشيوعي المغربي أحد مكوناتها، وهذا فضلا عن ضعف الموارد المادية.⁵¹

Bibliographie

- Ayache Albert, René Gallissot et Georges Oved Maroc: *Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier, Maghreb*. Casablanca: Éditions Edif, 1998.
- Benali, Souad. "al-mar'a al-yahūdiyya fī maghrib al-ḥimāya," baḥṭh linayl stikmāl al-ddurūs, 'ishrāf Mohammed Kenbib, kulliyat al-'ādāb wa al'ulūm al-'insāniyya, al-Ribāt, 1997.
- Deluc, Jean. *Considérations sur les tribunaux coutumiers dans la confédération des tribus Zemmour*. "Document C.H.E.A.M. n° 2.335," 1950.
- Dialmy, Abdessamad. *Le féminisme au Maroc*. Casablanca, Éditions Toubkal, 2008.
- Donath, Doris. *L'Evolution de la femme israélite à Fès*. Aix-en-Provence: Publications des Annales de la Faculté des lettres, Aix-en-Provence, la pensée Universitaire, Travaux et Mémoires, 1962.
- Femmes du Maroc*: 13 (1947); 14 (1947) 15 (1948); 16 (1948); 3 (1946); 4 (1946); 5 (1946); Avril (1946); 8 (1946); 9 (1946); 1 (1945); 10 (1946); 12 (1947).
- Gallissot, René. *Le patronat européen au Maroc (1931-1942)*. Casablanca: Éditions Eddif, 1990.
- Gaudefroy-Demombynes, Roger. *L'oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*. Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1928.
- Hoisington, William A., *L'héritage de Lyautey: Noguès et la politique française au Maroc: 1936-1943*, traduit par, S.K, Levin et Marc Méraud. Paris: l'Harmattan, 1995.
- Ibn al-Muaqqit, Muḥammad bin Muḥammad bin 'abd Allāh. *Al-Rihlat al-Murākushiyya 'aw Mir'āt al-Masāwi' al-Waqtiyya*. Al-Qāhira: matba'at mustafā al-bābī al-halabī wa 'awlādih bimīṣra, 1351/1932, j.2.
- Kenbib, Mohammed. "Les Juifs du Maroc pendant la deuxième guerre mondiale. La phase 1939-1942." *Hespéris-Tamuda* XXXVII (1999): 191-205.

51. *Femmes du Maroc*, n° 15, février, 1948.

_____. *Juifs et musulmans au Maroc, 1859-1948. Contribution à l'histoire des relations inter-communautaires en terre d'Islam*. Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Série: Thèses et Mémoires n° 21, 1994.

l'Avenir Illustré: 45 (1930); 140 (1931).

Menouni, Abdellatif. *Le syndicalisme ouvrier au Maroc*. Casablanca: Les Éditions Maghrébines, 1979.

Moulay Rchid, Abderrazak. *La condition de la femme au Maroc*. Rabat: Éditions de la faculté des sciences juridiques économiques et sociales, série de langue Française n°33, 1985.

Noar 3 (1946); 8/9 (1947).

Rivet, Daniel. *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V. Le double visage du protectorat*. Paris: Denoël, 1999.

Taillard, Fulber. *Le nationalisme marocain*. Paris: Éditions du Cerf, 1947.

Louis, Villène, *L'Evolution Sociale du Maroc* (Paris: Cahiers de l'Afrique et de l'Asie I, Éditions Peyronnet, 1951).

ملخص:

Al-muslimāt wa al-yahūdiyyāt fī Maghrib al-ḥimāya min khilāl majallat "Nisā al-Maghrib" (1945-1948)

المسلمات واليهوديات في مغرب الحماية من خلال مجلة نساء المغرب (1945-1948)

يتناول هذا المقال تجارب إحدى المنظمات النسائية الطلائعية التي عرفها المغرب، كما تقدمها محتويات مجلة نساء المغرب التي أصدرها اتحاد نساء المغرب كأداة واکبت مختلف أنشطتها ما بين (1945 و1948)، فتفردت بالجمع في انسجام تام بين مكونات الديانات الثلاث بالمغرب على عهد الحماية الفرنسية، مركزة بشكل خاص على العلاقة الاستثنائية بين المسلمات واليهوديات التي طبعها التعاون المشترك في محاولة لمواجهة جملة من التحديات الناجمة عن ظروف الحرب العالمية الثانية.

الكلمات المفاتيح: يهوديات ومسلمات، منظمات نسائية، التنوع الديني، اتحاد نساء المغرب، النقابات، الشيوعية، الإقامة العامة، نظام الحماية.

Résumé: Femmes musulmanes et juives au Maroc sous le protectorat français à travers la revue “*Femmes du Maroc*” (1945-1948)

Cet article traite l'évolution de l'une des premières expériences d'organisations féministes au Maroc, à travers leur revue “*Femmes du Maroc*” qui a suivi leurs différentes activités durant la période comprise entre (1945-1948). On peut les qualifier d'unique, elles ont réussi à réunir les adeptes des trois religions au Maroc sous le protectorat en mettant l'accent notamment sur la relation cohérente et solide entre femme musulmanes et juives, et leur coopération pour être en mesure de relever les défis imposés par l'impact de la deuxième guerre mondiale.

Mots clés: Juives et musulmanes, organisations féministes, diversité religieuse, Union des femmes marocaines, syndicalisme, communisme, Protectorat français, Résidence Générale.

Abstract: Muslims and Jewish Women in Morocco During the French Protectorate Period Through the Magazine “*Femmes du Maroc*” (1945-1948)

This article touches on one of the first experiences of feminist organizations in Morocco, through their magazine “*Femmes du Maroc*,” which followed their different activities during the period (1945-1948). We can dare and say that they were unique, they have managed to unite the three religions that have been in Morocco during this period preceded by the French protectorate, focusing in particular on the consistent and extraordinary relationship between the Muslims and the Jews, and their cooperation in order to be able to face the challenges posed by the impact of the second World war.

Key words: Jews and Muslims, feminist organizations, religious diversity, Union of Moroccan Women.

Resumen: Los musulmanes y las mujeres judías en Marruecos Durante el período del Protectorado francés A través de la revista “*Femmes du Maroc*” (1945-1948)

Este artículo aborda una de las primeras experiencias de las organizaciones feministas en Marruecos, a través de su revista “*Femmes du Maroc*,” que siguió sus diferentes actividades durante el período (1945-1948). Podemos atrevernos y decir que eran únicos, tienen Logró unir las tres religiones que han estado en Marruecos durante este período precedido por el protectorado francés, centrándose en particular en la relación constante y extraordinaria entre los musulmanes y los judíos y su cooperación para poder afrontar los desafíos planteados por El impacto de la Segunda Guerra Mundial.

Palabras clave: Judíos y musulmanes, organizaciones feministas, diversidad religiosa, Unión de Mujeres Marroquíes.